ويراد به تأثر الحرف بما جاوره أو تأثر الحركة بما جاورها أو ما كان قريباً منها، وقد أشار إليه ابن جني بقوله: "إذا جاور الشيء الشيء دخل في كثير من أحكامه لأجل المجاورة"[1] فيماثله لفظاً حملاً عليه، وتكون المزاوجة بين بنيتين للمشاكلة بينهما للفظ يكون على خلاف مجاوره، ثم يشاكله في اللفظ متأثراً به ليوقع في النفس أثراً، ويعرف بإتباع اللفظ بنية غيره. ومنه الإتباع، وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيداً، وتقوية لمعنى ما قبله، ويحقق هذا إيقاع له وقع في النفس أحدثه المجانسة بين الحروف والمقاطع، ومما جاء مؤكداً لمعنى غيره: خراب يباب، والثاني بمعنى الأول، ومثله: ساغب لاغب (جائع متعب) ومثله: جائع نائع. وخبّ ضبّ (ماكر خبيث)، والعرب تقول: "له الطِّم والرِّم" إذا أرادوا تكثير ماله (والطم: البحر والرم: الثري)، ورجل هائع لائع (جبان ضعيف جزع) وسَمِج لَمِج (اللمج: الذواق).

وقال ابن عباس ﷺ في ماء زمزم: "وهي للشارب حِلّ وبِلّ"، و "قسيم وسيم"، وكلاهما بمعنى الجميل. "وضئيل بئيل" وهما واحد. ومثله: "جديد قشيب"، و"مضيع مسيع"، والإساعة بمعنى الإضاعة، و"شيطان ليطان" أي: لصوق[2]، وقولهم: "رِجْس نِجْس"، كسرت النون في نجس وسكنت الجيم حملاً على رِجْس، والأصل: نَجَس بفتح النون وتحريك الجيم.

ووقع الإتباع في نحو: امرأة سِمْعَنَّة نِظْرَنَّة، وسُمْعنَّة نُظْرَنَّة. إذا كانت كثيرة النظر والاستماع، وطَبُ لبّ، أي: حاذق، وصلتان فلتان، بمعنى: نشيط،

---

(١) المنصف (شرح الإمام) أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف للمازني ، تحقيق إبراهيم مصطفي، وعبد الله أمين، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ط١ / ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م جـ٢ / ٢.

(٢) المزهر للسيوطي جـ١ / ٤١٦، وشرح الشافية جـ٢ / ٢١ تنقيف اللسان ص٢٨٣، فقه اللغة ص٢٦٠. وتأويل مشكل القرآن ص١١٧.

ودَعِبٌ لَعِبٌ، وعَوِزٌ لَوِزٌ، وشديدٌ أديدٌ. وكثيرٌ بذيرٌ[1]، وهذا الترادف فيه تقوية لمعنى ما قبله، والحمل على اللفظ فيه سوغ حفظه والتفاعل معه، والعرب تتبع الكلمة سابقتها في الوزن والرويّ إشباعاً وتوكيداً اتساعاً، وله نظير في بعض الأمثال الشعبية. وقد يقع الحمل للتآخي والمجانسة بين الألفاظ، ومما حمل على حكم مجاوره قول العرب: هنَّأني مرَّأني، والأصل: أمرَأني، ومثله: "ما ساءَك وناءَك"، فالأصل: أناءك، فألقى الألف حملاً على ساء[2]، وإبدال الحرف بآخر مماثل غيره في بناء مجاور فيماثله، ومن هذا قول النبي ﷺ: " ارجعن مأزورات غير مأجورات" [3]، شاكل لفظ مأزورات مأجورات، وأصلها: موزورات من الوزر، ولكن أجراها ﷺ مجرى المأجورات فهمزها للمجاورة بينهما، وقيل إن القلب في الواو ليس من أجل الإتباع؛ لأن الأول ينبغي أن يجيء على القياس والإتباع في الثاني، وقد قلبت الواو همزة للتخفيف كما قلبت واو "يوجَل" (مضارع وَجِل) إلى ألف للتخفيف، فقيل فيها ياجل[4]، ومن ذلك: "بالغدايا والعشايا"، فحمل لفظ الغَدَوات جمعاً على لفظ جمع العشايا، ولا يقال إذا أفردت عن العشايا، فالقياس: الغدوات[5]، وقيل: الغدايا والعشايا، ليس فيه إتباع؛ لأن غدايا جمع غدوة مثل حرة وحرائر، وكَنَّة وكنائن (امرأة الابن أو الأخ). ومنه دعاء النبي ﷺ: "اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن" [6]. والأصل في ضمير الشياطين أن يكون واواً،

---

(١) الصاحبي لابن فارس ص٤٥٨، والمزهر جـ١/٤٢٤ والمخصص جـ٢٨/٤١ وأمالي القالي جـ٢٠٨/٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٢٠٤.

(٣) الحديث بهذا اللفظ ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٧٤٢ عن علي ﷺ ، وضعف الجامع رقم ٧٧٣ عن علي وانس، رواه ابن ماجة رقم ١٥٧٨، وكنز العمال رقم:٤٢٥٨١، وقد ذكره بن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر جـ١٧٩/٥. ومغني اللبيب ص٨٩٦، والمنصف لابن جني ٢ / ٣٢٦ وشرح شذور الذهب ص٣٣١.

(٤) الأشباه والنظائر جـ١ / ١٩ وفقة اللغة ص٢٢٣.

(٥) فقه اللغة ص٢٢٣.

(٦) ضعيف رواه الترمذي، رقم ٣٥٢٣، كتاب الدعوات، وصحيح ابن خزيمة رقم ٢٥٦٥ وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٤٠٣ ضعيف جداً، عن صهيب ﷺ . وضعيف الجامع الصغير رقم ٤٠٨ عن بريدة.

فجعل نوناً قصداً للمشاكلة، ومن ذلك جاء في الحديث:" لا دريت ولا تليت" [١]. والأصل: تلوت. وجاء في الحديث: "وأخذه ما قَدُم وما حدُث"[٢]، والأصل أن تفتح "دال" حَدَث وضمت حملاً على حركة الدال في قدُم[٣].

وقد يحمل اللفظ على نظيره في المعنى نحو: الحُدَّاث: جماعة يتحدثون؛ وهو جمع على غير قياس حملاً على نظيره، وهو: سامر وسُمَّار، فإن السمار المتحدثون[٤]، فحمل عليه؛ لأنه بمعناه، القياس: المتحدثون، واحدهما متحدث.

وقد يحمل اللفظ على بناء ما يخالفه فى المعنى ومن ذلك جمع أفعل على فعال، نحو: أعجف، ومؤنثه عجفاء، والجمع منها: عِجَاف. وجاء في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ**﴾ [يوسف:٤٣] حملت على سمان، وهي جمع نقيض عجاف[٥].

وقد يحمل البناء على بناء في معناه، ومنه حمل الاسم الجامد والمصدر على معنى لفظ مشتق يجوز الوصف به، فقد يوصف بالمصدر أو يخبر به، والأصل في ذلك الوصف، فلا يجوز الوصف بالجامد أو المصدر إلا تأويلاً، فلا يجوز: الباب الحديد بل الباب الحديدي، فيوصف بالمشتق أو بمعنى المشتق نحو: رجل مصري. فمصري ليس بمشتق من فعل بل متأول بمنسوب ومعزو فهو بمعنى اسم المفعول (منسوب أو معزو إلى مصر) فوقع النسب موقع اسم المفعول في الوصف[٦]. ومثله: أنت رجل، أي: ذو رجولة حمل على اسم الفاعل، ومثله فلان ثروة: أي ذو ثروة. وهذا على المبالغة، قال الشاعر[٧]:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، وباب الميت يسمع خفق النعال. وأبو داود رقم ٤٧٥١، والنسائى: ٢٠٥١.

(٢) حسن صحيح رواه أحمد في مسنده، وجاء فى أبي داود (كتاب الصلاة) رقم ٩٢٤: " فأخذنى ما قدم وما حدث " عن عبد الله بن عباس ﷺ.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك ص٧٤، ٧٥.

(٤) الأشباه والنظائر جـ١ / ٢٠٠ وقد نقل السيوطي ذلك عن النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير.

(٥) ارجع إلى: الأشباه والنظائر جـ١ / ٢١٤. وقيل ليس لها في الجمع نظير.

(٦) شرح المفصل م١ / ٦٠٣.

(٧) المحتسب جـ٢/١٧٤، واللسان مادة: صل، والقائل: الحطيئة. وروى: ذاك الفتى يبذل ذا قدره ...

هو الفتى كل الفتى فاعلموا لا يُفسد اللحم لديه الصُّلُولْ

أي هو الكامل في الفتيان، والشاهد وقع "كل" الجامد وصفاً، ويراد به مشتق (الكامل في فتوته) وهذا للمبالغة.

ومثله رجل صِدْق أو رجل حرب. أي صادق ومحارب. ورجل صُلْح، أي: صالح.

ورجل سوء، أي: سيء. ونحو: مررت برجل أسد، لا يجوز الوصف به فهو اسم جنس جوهر ولا يوصف بالجواهر، فلا يجوز: هذا خاتم حديد أو فضة، وقد أوله العلماء على حذف مضاف تقديره: مثل أسد، ومثل بمعنى مماثل، ففيه معنى التشبيه، ولا يحسن في الحديد أن يكون وصفاً، ويحمل على تقدير محذوف: هذا خاتمك من حديد أو من فضة[1].

ويوصف بالمصدر، نحو: رجل عدل وصوم وفطر وزَوْر ورضي وفضل حملاً على معنى المشتق: عادل، وصائم، وفاطر، وزائر، وفاضل.

وقيل: وضعوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعاً، وحمل المصدر عند الوصف به أو الإخبار على معانٍ ومنها: حمل المصدر على معنى اسم الفاعل. يقال: "رجل عَدْل". أي: عادل. ومثله: امرأة عَدْل. وبنو فلان لنا سِلْم. أي مسالمون، وهم لنا حرب أي محاربون[2]، ومثله غوْر: أي غائر، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا**﴾[الملك:٣٠].

وقال امرؤ القيس[3]:

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قَيدِ الأوابد هيكل

وصف منجرد (الفرس) بقيد الأوابد.

---

(١) شرح الشافية م١ / ٦٠٤.

(٢) ومنه قوله تعالى: (... ولكن البر من آمن بالله ...) وتقديره: ولكن البرَ برُّ من آمن بالله، فأضمر ذكر البر وحذفه فقام اسم الموصول مقامه.

(٣) ديوان امرئ القيس ص١٩ ولسان العرب: قيد. وشرح المفصل م١ / ٣٩٥ وص٦٠٧.

والمعنى: مُقَيد الأوابد (أي يدرك الوحوش) لشدة جريه، فيمنعها من الانبعاث كأنه قيد لها، فوصف بالمصدر مضافاً.

وقد يحمل الوزن على وزن آخر في الأفعال؛ لأنه بمعناه قال تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾[آل عمران:٣٧] فالقبول والنبات مصدران للفعلين: قَبِل قبولاً، ونبت نبتاً ونباتاً، فهما على غير المشهور من كلام العرب من: تقبَّل: تقبَّلا، وأنبت: إنباتاً، وهما القياس، فعدل عن ذلك في الآية بـ: تقبّل: قبولاً، وأنبت: نباتاً. فالقبول بمعنى التقبل، وهو أخف منه في اللفظ، والنبات بمعنى الإنبات، وهو أخف منه في اللفظ وقد استوفى المعنى بها، قال المفضل الضَّبي: معناه: وأنبتها فنبتت نباتاً حسناً. ومراعاة المعنى أولى كما رأى القرطبي(١). والأصل في القَبول الضم والقُبول مثل الدخول الخروج، والفتح جاء في مصادر قليلة مثل الوَلوع والوَزوع(٢).

وجاء ذلك في القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود: ﴿**وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً**﴾ [الفرقان:٢٥] و (أنزل الملائكة تنزيلاً)، والمشهور الأولى نزَّل؛ لأن معنى نزل وأنزل واحد، ومثله كِذَاب (بالتخفيف) فى قراءة: ﴿**وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا**﴾ [النبأ:٢٨] بتخفيف الذال فى كذاب، قيل: كذاب مصدر كاذب أقيم مقام مصدر كذَّب تكذيب كما فى ﴿**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً**﴾[المزمل:٣](٣).

وقال الشاعر(٤): **أكفراً بعدَ رد الموتِ عني وبعد عَطَائك المائةَ الرتاعا**

أراد: بعد إعطائك؛ لأن أعطى متعد، وعطي لازم، فأضيف إلى فاعله ونصب مفعوله؛ لأن عطاء بمعنى إعطاء.

---

(١) تفسير القرطبي ٤ / ٦٢.

(٢) قال ذلك أبو عمرو و الكسائي وغيرهما، وأجاز الزجاج "بقُبول" بضم القاف على الأصل مثل: الدخول والخُروج، تفسير القرطبي جـ٤ / ٦٣.

(٣) شرح الشافية جـ ١٦٦/١.

(٤) ديوان القُطامي، دراسة وتحقيق الكتور محمود الربيعى، هيئة الكتاب ط ٢٠٠١ م ص ٢٦٥، والرتاع: يريد الإبل التى ترتع، ويروى: الرباعا: وهى التى تنتج فى الربيع.

وقال امرؤ القيس[1]:

فصرنا إلى الحسنى ورقَّ كلامُنا ورُضتُ فذلّت صعبة أي إذلال

مصدر ذلّ: ذلاّ، ومصدر أذل: إذلالاً فجاء بالمصدر إذلال للفعل ذلّ، فرده على معنى أذللتُ.

وقال القُطَامى[2]:

وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تَتَبَّعه اتباعـــا

فمصدر تتبع: تتبعاً، واتبع: اتباعاً، فجاء بالثاني للأول، لأنه بمعناه، فتتبعت بمعنى اتبعت. وقال رؤبة بن العجاج[3]:

وقد تطوّيتُ انطواءَ الحضْبِ

وفِعْل بمعنى مفعول نحو: حِمْل، حِبّ، ورِعْي، وقِطْف، وذِبْح: ﴿**وَفَـدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾[الصافات:١٠٧] وجاء في المثل: " أسْمَع جعجعة ولا أرى طحناً ". والمعنى: محمول، محبوب، مرعيّ، مقطوف، مذبوح، مطحون، وفَعَل بمعنى مفعول، نحو: قَنَص، نفَضَ (ما تساقط من الورق والتمر)، وعَدَد، ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾[الكهف:١١] وجَنَى: ﴿**وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**﴾[الرحمن:٥٤].

وحمل لفظ بناء الكلمة على معنى غيره من الأبنية: قد يأتي اللفظ على بناء، ويراد به معنى بناء آخر، ومن ذلك: وحمل لفظ بناء اسم الفاعل على معنى اسم المفعول قال تعالى: ﴿**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّه**﴾[هود:٤٣] أي: لا معصوم، وقال تعالى: ﴿**خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ**﴾[الطارق:٦] أي مدفوق. وقال تعالى: ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾ [الحاقة:٢١] أي: مرضية بمعنى عيش يرضاه لا مكـــروه

---

(١) الديوان ص ١٢٥، المقتضب جـ ٢١٢/١، وخزانة الأدب جـ ٢٨/١، وشرح الحماسة ١٦٩/٤.راض: ذلل، ذل:لان.

(٢) ديوان القطامى ص ٢٦٣.

(٣) القرطبى ٦٢/٤، والحضب: نوع من الحيات والأفاعي.

فيه، وقال تعالى: ﴿**جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا**﴾[العنكبوت:٦٧] أي مأموناً، وقيل المعنى: ذات رضى، وذو أمن. قال جرير[١]:

إن البليَّةَ من تملُّ كلامه فانْفَعْ فُؤَادَك من حديث الوامق

أي من حديث الموموق[٢].

قال وعلة الجرْمي[٣]:

ولما رأيت الخيلَ تترى أثايجاً علمتُ بأنَّ اليوم أحْمسُ فاجر

أي: يوم صعب مفجور فيه.

وبناء فاعل نحو: دارع ونابل، أي ذو درع ونبل، وذات درع ونبل، ولابن وتامر: ذو لبن وتمر أو صاحب لبن وتمر. ففاعل بناء على معنى النسب[٤]، فرجل دارع بمعنى درعي، أو صاحب درع، وهذه صفات مشتقة من أسماء جامدة لا فعل منها، ولا وجه له إلا النسب، فحملوا عليه وصف المؤنث: حائض، وطالق ونحوهما.

وقد تأول سيبويه وصف المؤنث بفاعل أنه على معنى شيء أو إنسان حائض، وليس وصف المؤنث بفاعل وهو لفظ مذكر وليس بمؤنث معنوي مثل: سوق، ودار، وسعاد، وزينب.

وبناء فاعل جاء عليه وصف المؤنث في بعض الألفاظ نحو: حائض، وطامث، وطالق. وهذه ألفاظ في وصف المؤنث، وقد قيل إنها على معنى النسب مثل دارع ولابن.

---

(١) ديوان جرير، ط مكتبة الحياة ص٣٩٧، وفيه:

إن البليَّةَ من يمل حديثه فانشح فُؤَادَك من حديث الوامق

ونشح: أخذ من الماء مايبل ريقه.

(٢) فقه اللغة ص٢٢٧.

(٣) الأصمعيات ص١٩٨ وتأويل مشكل القرآن ص٢٩٦ المعاني الكبير، ابن قتيبة جـ٢ / ٩٤٦. أثايج: جماعات، أحمس: شديد، فاجر: يركب الفجور، أراد مفجور فيه.

(٤) شرح المفصل م٢ / ٥١٧.

وبعضها عام في المذكر والمؤنث نحو: عاصف، قال تعالى: ﴿**جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ**﴾[يونس:٢٢]، ومثلها: ناقة ضامر، قال تعالى: ﴿**وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[الحج:٢٧].

وجمل بازل وناقة بازل وجمل ضامر وناقة ضامر قال الأعشى[١]:

عهْدي بها في الحيّ قد سربلت هيفاءَ مثلَ المُهْرَة الضامر

والشاهد: المهرة الضامر: الضامر صفة تستعمل للمذكر والمؤنث بدون تاء التأنيث.

وقد يعدل عن بناء إلى آخر المعنى، ومنه: العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل في نحو: ضيق: ضائق، فقد قال تعالى: ﴿**وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**﴾ [هود:١٢] عدل عن الصفة المشبهة باسم الفاعل للدلالة على العرض، فالضيق لم يكن ملازماً لهم بل عارضاً.

وقرئ: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ**﴾[الأعراف:٦٤] [٢] عامين: والأصل الصفة عمى والجمع عمون، فعدل عن عمين إلى عامين ليدل على أن عدم فهمهم كان عارضاً في الحال وليس طبعاً فيهم.

وقال أسجع السلمى في رثاء عمرو بن سعيد الباهلي[٣]:

وما أن من رُزْء وإن جلّ جازعٌ ولا بسرور بعد موتك فارح

عدل عن جزع إلى جازع، وعن فرح إلى فارح لإفادة أن الجَزَع الفرح عارضان في الحال غير ثابتين.

وقرأ الحسن وابن محيصن: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾[الزمر:٣٠].

وقال الحطيئة[٤]:

---

(١) ديوان الأعشى ص١٨٩، والمعجم المفصل جـ١ / ٤٤٠، والإنصاف جـ٢ / ٧٧٨. وشرح المفصل م٢ / ٥١٩.

(٢) الكشاف ٢ / ٦٢.

(٣) ديوان الحماسة ص٨٥٨.

(٤) ديوان ص٥٤، وشرح: رقم ١٢٠، والمفصل جـ٦ / ١٥.

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطعام الكاسي

الكاسي: المكسوّ، وقد عدل عن المفعول إلى بناء الفاعل للتعريض، فقد احتمل اسم الفاعل معناه الحقيقي ومعنى اسم المفعول، وقيل إن عمر ﷺ حمله على اسم الفاعل، عندما رفع المهجو الأمر إليه؛ فتأوله ليصرف غضبه، وهو يعلم أن المراد التعريض بالمخاطب، ونهى الحطيئة عنه(١).

وحمل بناء اسم المفعول على معنى الفاعل، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾[مريم:٦١] أي: آتياً. وقوله: ﴿**حِجَابًا مَّسْتُورًا**﴾[الإسراء:٤٥] أي ساتراً(٢).

وقد يأتي اللفظ بلفظ اسم الفاعل مرة واسم المفعول مرة، والمعنى واحد، فيحمل اللفظ على اللفظ، وذلك نحو: مكان عامر ومعمور وآهل ومأهول.

ورجل مُدَجِّج ومُدَجَّج، وعبد مُكَاتِب ومُكاتَب، ونَفِست المرأة ونُفِسَت، وعَنَيت بالشيء وعُنَيت به، وسَعِد فلان وسُعِد، وزها علينا وزُهِيَ علينا(٣).

وفعيل بمعنى فاعل، روى يعلي بن أمية عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله حيي سَتِير فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار بشيء"(٤)، ستير بمعنى ساتر يستر على عباده كثيراً، وهي مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم(٥).

ورجل قتيل وامرأة قتيل بمعنى مقتولة، ومثلها: امرأة جريح، وطريح وخضيب: مخضبة بالحناء، وعين كحيل، وامرأة كريم، ومنها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:٥٦] بمعنى مقترب، شبهوه بقتيل، وقيل سقطت التاء من قريب؛ لأن الرحمة والرحم واحد فحملوا الخبر على المعنى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي**﴾[الكهف:٩٨] لفظ

---

(١) زهر الآداب جـ ١/١٩، جـ ٢/٧١٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٩٨ الصاحبي ص١٨٨.

(٣) فقه اللغة ص٢٦١.

(٤) حسن صحيح أخرجه أبو داوود في كتاب " الحمام " رقم : ٤١٢، والنسائي في كتاب الغسل رقم : ٤٠٧.

(٥) مشكل الحديث ص١٢٧.

الرحمة على الرحم، فالأصل في فعيل أن يكون بمعنى مفعول، وليس على معنى مفتعل.

ومنها: ريح خريق، أي شديدة الهبوب كأنها تخرق الأرض.

قال الشاعر[1]:

كأن هُبوبها خفقان ريح خريق بين أعلام طوال

فعول بمعنى فاعل نحو: غفور، صبور، شكور، طموح، عدو يقال: رجل صبور وشكور وامرأة صبور، وشكور، وغدور، وعجول، وطهور، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾[مريم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿**وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾[مريم:٢٠]. وقولهم: امرأة ملولة. زيدت التاء للمبالغة، لا للتفرقة بين المذكر والمؤنث، وقولهم: امرأة عدوّة، شاذ، وقيل حمل على صديقة في عكسه: فالمذكر صديق والمؤنث صديقة.

وإذا كان فعول بمعنى مفعول لحقته التاء لتفصل بين المذكر والمؤنث. نحو: جمل ركوب وناقة ركوبة. وأكولة بمعنى مأكولة وحلوبة بمعنى محلوبة. وأكول: تكثر الأكل بمعنى أكالة[2]. وحمل مفعول على معنى فاعل إذا كان في معناه نحو قولهم: امرأة حميدة، فلحقت بها التاء، وهي في الأصل بمعنى مفعول وحقها فعيل، فزيدت الهاء لحملها على معنى الفاعل[3].

وفيعل بمعنى فاعل نحو: طيِّب، ميت بمعنى طائب ومائت.

وفَعْل بمعنى فاعل نحو: شَيْخ، وشَهْم، ضَخْم.

وأفعل نحو: أشْيَب، أسود، أجهر.

وفَعَل نحو: بطل.

وفَعِل نحو: نَضِر، بطر، أشر.

---

(١) شرح المفصل م٢ / ٥٢١.

(٢) شرح المفصل جـ٢ / ٥٢٠، جـ م٢ / ٤٣٣. وشرح التصريح جـ٢ / ٢٨٧.

(٣) شرح ابن عقيل جـ٣ / ١٣٧.

وفعلان نحو: عطشان، صديان. والمعنى: عاطش، صادٍ.

فعيل بمعنى مفعول: وينوب عن معنى مفعول نحو: قتيل، جريح، أسير، طريح، صريح، عقير، مقيت (مُبغَض)، وطليح (متعب)، ودهين، وكحيل، وخضيب. وهي بمعنى اسم المفعول مقتول، مجروح ...، ويستوي في فعيل بمعنى مفعول وصف المذكر والمؤنث غالباً.

وفعيل بمعنى مُفْعِل نحو: بديع: مبدع: قال تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[البقرة:١١٧] أي: مبدعها، وقال تعالى: ﴿**عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[البقرة:١٠] أي مؤلم. وقال عمرو بن معد يكرب[١]:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هُجُوعُ

يريد: الداعي المسمع.

وقرئ قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[التكوير:٢٤]. قيل معناها ظنين: متهم، وقيل: ضعيف، ومنه قول العرب: وصْل فلان ظنون، أي ضعيف، فيكون الأصل فيه: وما هو على الغيب بظنون، فقلبوا الواو ياءً، كما قالوا: ناقة طعوم وطعيم، للتي بين الغثة والسمينة[٢].

ويقال: فلان عندي ظنين، أي متهم، وأصله "مظنون"، فصرف عن "مفعول" إلى "فعيل"، كما قالوا مطبوخ وطبيخ، قال الشاعر[٣]:

وأعصىَ كلّ قربى لحاني بَجَنْبك فَهْو عندي كالظنينِ

وبناء منفعل: قال تعالى: ﴿**السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ**﴾[المزمل:١٨] أي ذات انفطار، وليس على معنى حاضت وانفطرت؛ لأنها لو كانت على الأخير، لزيدت التاء على الإخبار، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ**

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٢٩٧. واللسان: ١٠ / ٢٨.

(٢) الأضداد لابن الأنباري ص١٦ والتبيان في إعراب القرآن جـ٢ / ١٢٧٣، قرأ أبو عمرو الكسائي بظنين: بمتهم وضنين: بخيل. قراءة ابن كثير.

(٣) نفسه.

عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[الحج : ٢] أى فى حال الإرضاع، وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾[الأنبياء:٨١] أخبر بمرضعة وعاصفة عن حدث حالي عارض فللريح أحوال أخرى، وقال تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾[يونس:٢٢]؛ لاختصاصها بالإهلاك دون الريح الطيبة، والله أعلم، ومن ذلك قول الشاعر[١]:

رأيت جنون العام والعام قبله كحائضة يزنى بها غير طاهر

الشاهد: حائضة بتاء التأنيث؛ لأنه إخبار عن حدث حالي، وليس وصفاً عاماً؛ لأن هذا اللفظ لا يطلق على ذكر البتة، وحائضة فى حال الحيض، فمثلها طالقة، فإن كانت مطلقة وأمسكت عن الزواج فهى طالق فيلزمها الوصف.

وقال بعض العرب: " مِرَاض " حملاً على ظريف وظِراف، قال جرير[٢]:

قتلننَا بعُيُون زافها مرضٌ وفي المراض لنا شجو متعذب

الشاهد: مِراض جمع مريض. ومؤنثها: مريضة؛ لأنه بمعنى فاعل. وقالوا:هالك، وهلاك وهالكون حملاً على شاهد وشهاد وشاهدون.

وقالوا جرب وجراب حملاً على حسن وحسان؛ لأن فَعَلاً وفَعِلاً يتقاربان مثل قولهم: بَطَل وأبطال، وقولهم نَكِد وأنكاد.

والقياس في جمع جَرِب: جُرْب.

قال دريد بن الصمة[٣]:

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم هانئ أينق جُرْب

الشاهد: جمع جُرْب. والمفرد: جَرِب.

---

(١) شرح المفصل م٢ / ٥١٨، ولسان العرب ٧ / ١٤٢ مادة حيض، والمعجم المفصل جـ١ / ٤٤٥.

(٢) ديوان جرير ص٣٤٨، ولسان العرب: مرض، والمعجم المفصل جـ١ / ٨٨ وشرح المفصل م٢ / ٤٨٥.

(٣) ديوان دريد ص٣٤، والأغاني جـ١٠ / ٢٢، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٥١، وشرح المفصل م٢/ ٤٨٥. وقد زيدت إن بعد ما في ما إن رأيت. ولا يجوز أن تكون نافية ففي النفي إثبات. وروى: طالى أينق، وأينق: جمع ناقة مقلوب أنوق وهنَّأ الإبل: طلاها بالقطران.

ومفعيل ومفعال للمبالغة، ويستوي فيهما المذكر والمؤنث نحو: رجل منطيق (بليغ)، وامرأة منطيق، ومعطير. وامرأة معطار ورجل معطار، وامرأة مذكار (تلد الذكور)، ومئناث (تلد الإناث) للمبالغة. وزيدت التاء للمبالغة في بعض الأبنية وليست للتأنيث بل للمبالغة في المذكر، ومنها: بناء "مِفْعَالة": نحو: رجل مسلابة: كثير السلب، ومشرابة: كثير الشرب، ومغضابة: كثير الغضب. ويقال: رجل مطرابة: لكثير الطرب، ومجذامة: للسريع في قطع المودة، ومعزابة: يعزب بإبله في المرعى، فيبعدها عن الناس لعزته وقدرته[1].

ومجزامة كثير القطع للمفاوز، وكثير الفصل في الأمور.

ووزن "فعّالة" نحو: علامة وفهامة ونسابة وفقاقة: كثير الكلام والصياح[2]. وهي لتأكيد المبالغة، وهي أكثر الأبنية استخداماً للمبالغة في المدح والذم، والذم نحو: عيّابة، سبّابة، لحّانة، ويوصف بفاعلة المذكر للمبالغة نحو: راوية، كثير الرواية. وساقية: كثير السقي.

ويوصف "بفعولة" للمبالغة نحو: رجل فروقة: شديد الخوف، جاء في المثل: " رب عجلة تهب ريثاً ورب فروقة يدعى ليثاً ". وملولة: كثير الملل[3].

بناء " فَعْلة " نحو قولهم: رجل رَبْعة (معتدل القامة)، ولَعْنة وهَزأة[4].

ووزن " فُعْلة " نحو: لُعْنة (يلعنه الناس)، وسُبَّه، وهُزأة، وسُخرة، وضُحْكة، وخدعة.

ووزن "فُعَلة": لُعَنة: يلعن الناس، وسُبَبة: يسب الناس، ومثله سُخَرَة وضُحَكَة، وخُدَعَة. قال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾[الهمزة:١] ، والتاء فيها ليست للتأنيث بل للمبالغة[5].

---

(١) شرح المفصل م٢ / ٥٢٠.

(٢) المزهر للسيوطي ٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٦.

(٣) شرح المفصل ٢ / ٩٨.

(٤) شرح المفصل م٢ / ٥١٩.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص١٥ ، ١٦.

وقد يحمل البناء على معنى غيره فيجمع جمعه لمناسبة بينهما من جهة اللفظ أو من ناحية المعنى ومن ذلك: مرضى وهلكى وموتى وحمقى حملت على قتلى وجرحى وعقرى ولدغى مما مفرده فعيل ومعناه مفعول، فالمفرد قتيل، وجريح، عقير، لديغ، فيجمع جمع تكسير على فعلى، وهذا عام في الآفات. ومرضى وهلكى وموتى وجربى وزمنى ليست مما يجمع على فَعْلى، لأنها أفعال لازمة ولا تبني للمجهول، فتجمع جمع سلامة: مريضون، جربون، زمنون؛ لأنها جارية على أفعالها، وتدخل في الوصف تاء التأنيث؛ للفرق بين المذكر والمؤنث يقال: مريضة، زَمِنة، جَرِبة.

والجمع مريضات، زمنات، جربات، وجمعها على فَعْلَى ليس أصلاً فيها بل حملاً على جريح وجرحى، وقتيل وقتلى، فوزن فعيل فيها بمعنى مفعول.

ومما ليس منه فعيل بمعنى مفعول، يأتي وصف المؤنث منه بزيادة هاء التأنيث ووزنه "مفعولة"، وهي بمعنى فاعلة.

وقد حمل فاعل هنا على معنى المفعول، ومن ثم حمل مَرْضى، وهلكى على جرحى وعقرى، ووزن فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه وصف المؤنث والمذكر.

وقالوا: أنوك ونوكى[1] مثل مرضى وهلكى، والأنوك الأحمق فجعلوا إصابة العقل بمنزلة إصابة البدن، وهذا ليس مطرداً فيما كان طبعاً، فلا يقال في بخيل: بخلى أو في سقيم: سقمى.

وحملوا يتامى وأيامى (جمع يتيم وأيِّم) على وجاعى وحباطى، فهي مصائب ابتلوا بها كالأوجاع، وفعالى جمع فعلان: جوعان: جوعى، ووجاعى مفردها وَجِع، وفَعِلَ وفعلان يشتركان في بعض الجمع نحو: عَطِش: عطاشى، وعَجِل وعجلان. وليس مفرد يتامى وأيامي من ذلك، فحملوا عليه وليس أصلاً فيه. وقال بعضهم الأصل في جمع أيّم: أيايم، فوقع قلب بعين الميم والياء فصارت

(١) أنوك: الأحمق والعيي فى كلامه والعاجز الجاهل، ووصف المؤنث: نوكاء، مثل أحمر: حمراء، والجمع: نوكى، ونُوكٍ.

"أيامي" مثل: مداري[1]، والأصل: مدابر. وتقع بعض الأسماء المعربة والمبنية مواقع الأفعال في الإعراب والمعنى، فالأسماء المعربة التي تقع موقع الأفعال نحو: المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، وهى في الأصل منقولة عن الفعل، فعملت عمل . إعمال المصدر نحو قوله تعالى: ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾[البلد:١٤، ١٥] نصب "يتيماً" بإطعام وهو مصدر أطعم فعمل عمله، ومثله: ضربك محمداً شديداً. "ضرب" مصدر عمل عمل فعله ضرب فنصب "محمداً".

ويعمل اسم الفاعل عمل الفعل نحو: أنت كناطحٍ الصخرةَ. بنصب صخرة. وتعمل صيغ المبالغة عمل الفعل نحو: "أما العسلَ فأنا شرَّابٌ" نصب شراب العسل. ونحو: أنت حَذِرٌ أموراً. وبعض الأسماء المبنية حمل على معنى الفعل وعمله ومنها: اسم فعل الأمر، ويفيد الاختصار فهي للواحد والمثنى والجمع بلفظ واحد، وهي أبلغ من ذكر معناها، وبعضها لازم وبعضها متعد[2]، وبعضها جاء حرفاً نحو: عليك، بمعنى الزم كقولك: عليك محمداً أي الزمه. وبعضها يدل على الأمر – وهو كثير – وبعضها يدل على الإخبار.

ومما يدل على معنى فعل الأمر: آمين: صوت سمي به الفعل (استجب)[3]، وقيل هي بمعنى افعل، عن ابن عباس ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن معنى " آمين " فقال: افعل.[4] ، ولم أقف عليه فى كتب الحديث، واحسله من كلام اللغويين و فيها إشباع الفتحة مداً وصح فى الحديث أن النبى ﷺ كان يجهر بها ويمد.

---

(١) شرح المفصل م٢ / ٤٨٦.

(٢) شرح ابن عقيل جـ٣ / ٩٣ وما بعدها، وتسهيل الفوائد ابن مالك، دار الكتاب العربي ص١٣٦ وما بعدها، وشرح الكافية ٣ / ٤٧٠، وص٤٨٤، ٥٣١.

(٣) مثل: رويدَ: أمهل، وحيَّهل: أسرع، وهلم: أقبل، وهي أسماء أفعال الأمر، وهي من المبنيات أيضاً.

(٤) لم اقف عليه فى كتب الحديث، وجاء أمين قوة للدعاء، أمين خاتم رب العالمين. وكلها ضعيفة، وجاء عن موسى:" قولوا آمين يجبكم الله.."، صحيح، أبو داود رقم ١٠٣٤، والنسائى رقم ٢٤٨.

قال قيس بن الملوح [1] :

يا رب لا تسلبني حبها أبداً ويرحم اللهُ عبداً قال آمينا

والألف لإشباع حرف الرويّ، وهو جائز في الشعر، والأصل فيها أن تبني على الفتح[2]، وأمين تأتي بمعنى اسم الفاعل المؤتمِن وبمعنى اسم المفعول المؤتَمن، قال حسان بن ثابت[3]:

وآمين حدثته سر نفسي فوعاه حِفظ الأمين الأمينا

أى: ومؤتَمن حدثته، والثاني اسم اسم فاعل، وأمين زنة فعيل وآمين زنة فاعيل.

هلم: أقبل وايت وتعالى، وهو مبني لوقوعه موقع الفعل المبني[4].

ها: اسم فعل أمر بمعنى خذ، وتزاد فيها الكاف فتصرف في أحواله، فيقال: هاك، ومنهم من يقول: هاء فأوقع الهمزة موقع الكاف، ويكون للمفرد المذكر والمؤنث فإن كان للمثني قيل: هاؤما، وإن كان للجمع قيل هاؤمُ، والميم فيه للجمع والألف للدلالة على المثني، قال تعالى: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ**﴾[الحاقة:١٩] ويقال في جماعة المؤنث: هاءُونَ [5].

صَهْ: اسم فعل أمر بمعنى اسكت فى صَهْ، وصَهِ: اسكت عن كل كلام، وهو ينوب عن الفعل ويحل موضعه بقصد الإيجاز والاختصار والمبالغة، فصه أبلغ في المعنى من اسكت (لازم) ومثله: مه: اكفف. دراك: بمعنى أدرك (متعدٍ)، وإيه: زد أو حدّث. ونزال: اسم فعل أمر بمعنى انزل (لازم). وقدوقط: اكتفِ، وانته، وإليك: تنح، ومنها إليك عني: تنح عني. وهيا: أسرع. حذارِ: اسم

---

(١) لسان العرب جـ١/٢٣٦، ونسبة إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو فى ديوان قيس بن الملوح ص٢١٩ وليس فى ديوان عمر بن أبي ربيعة. شرح المفصل م٢/١٨٢، وشرح الشافية جـ٣/١٦٥.

(٢) الكشاف جـ١ / ٢٣.

(٣) ديوان حسان ص٢٨٢، والأضداد للسجستاني ص١٧٥.

(٤) شرح المفصل م٢ / ١٩٣ وشرح الشافية جـ٣/١٦٤.

(٥) شرح المفصل م٢ / ١٩٥، وشرح الشافية جـ٣/١٦٦.

فهل بمعنى احذر (متعدٍ)، رويدَ: أمهل وأرود (وهو متعدٍ)، وتيدَ: اسم في معنى رويد وبمعنى أمهل (متعدٍ). وهلمْ: بمعنى قرّب وأقدم (لازم)، وهاتْ: بمعنى أعط وناول، وهو مبني لوقوعه موقع الأمر، ويكسر لالتقاء الساكنين، وقيل هو بمعنى هيت وقيل هو بمعنى أتي والهاء بدل من الهمزة، والأصل ايت: هيت (أسرع).

حيهل قيل من حي وهل فصارا بمنزلة لفظ واحد، وفتحوهما لخمسة عشر، وهو بمعنى ايت.

بَلْهَ: بمعنى دع يقال بله زيداً: دعه. وعليك: الزم، قال تعالى: ﴿**كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ**﴾[النساء:٢٤] أي: الزموا كتاب الله[١].

وبعض أسماء الأفعال تدل على الإخبار، ومنها: شتان: شتان زيد وعمرو: افترقا وتباينا. سرعان: سرع وفعل به أي: وما أسرع الأمر. وشكان: وشك، وقرب. أُفّ: أتضجر. أوْهِ: أتوجع. وسمع فيه: أوّه وآوّه. هيهات: هيهات ذاك: بَعُد فهي اسم للفعل، عدلوا عن الفعل للمبالغة، وقد وقع الفاعل بعدها مرفوعاً لوقوعها موقع الفعل فجرت مجراه، فاقتضت فاعلاً، قال جرير[٢]:

فهيهات هيهات العقيقُ وأهلُهُ وهيهات خِلٌ بالعقيق نواصله

هيهات اسم فعل ماضٍ بمعنى بعد، وقد عمل عمل الفعل فجرى مجراه، فرفع الفاعل العقيق (مكان)، ورفع الثاني خل، وهي للمبالغة والاختصار؛ لوقوعها للمفرد والمثنى والجمع.

وحمل الحرف الأصلي على الزائد في النسب إلى كلمة تحيَّة، فالنسب إليها: تحوى، حذفت الياء الأولى وقلبت الثانية واواً، ولحقت بها ياء النسب، وقد قلبت الياء الثانية واواً فراراً من اجتماع الياءات، وقد حذفت الياء الأولى – وهي عين الكلمة، فالأصل حَيّ – قياساً على رمية – وهي وزن فعيلة – فالياء

---

(١) شرح المفصل م٢ / ١٧٥: ١٧٧، وشرح الكافية جـ ١٦٧/٣.

(٢) شرح المفصل م٢ / ١٨٤ وديوان جرير ص٩٦٥ والأشباه والنظائر للسيوطي ٨ / ١٣٣.

الأولى في رمية زائدة مثل الياء في صحيفة، والنسب إلى فعيلة يكون بحذف الياء: فَعِلِيّ مثل صحيفة: صحفى، ويقال في النسب إلى: رمية: رموى، فالياء فيها زائدة، وقد قلبت الياء الثانية فيها إلى واو؛ لئلا تلتقي ياءان أو كراهة توالي ياءين في آخر الكلمة، فالأصل: رمى يرمي، ومنها: رميَّة، والأصل: رميْيَة وزن فعيلة، وأدغمت الياء الأولى في الثانية، والياء الأولى حذفت في تحييه، وهي أصل في الكلمة، وقد أجراها العرب مجرى الياء في رميَّة. فهي وزن فعيلة[1]. فالياء في تحيَّة ليست مدة بل عين الكلمة الثانية والثانية لام الكلمة وأصله تحيية وزن تفعِلة، ثم أدغمت الياء في الياء، وأجرى الأصلي مجرى الزائد لشبهها لفظاً لا أصلاً، فقيل فيها: تحوى.

وقد وقع في تَئية مثل ما وقع في تحية، والنسب إلى تئية، وهو من أوى بمعنى سكن، وتئية: التسكين[2].

وحمل كذلك الأصل على الزائد في تثنية قرَّاء وضّاء، يقال: قرَّاوان بقلب الهمزة – وهي أصل في قرأ – واواً تشبيهاً لها بالزائدة، وجاء فيها أيضاً قراءان، وهو الأصل والقياس، ومثلها: وُضَّاء: وُضَّاوان، قياساً على الزائد في حمراء: حمراوان[3].

ووقع الحمل فيما كانت همزته منقلبة عن حرف إلحاق نحو: عِلْباء (عصب في عنق البعير)، يقال فيها علباءان قياساً على الهمزة الأصلية التي لا تقلب في التثنية. ومثلها: حرباء: حرباءان تشبيهاً لها بالمنقلبة عن الأصل. وحمل بعضهم الهمزة الزائدة في حمراء على الهمزة الأصلية فقالوا: حمراءان، وعلة ذلك إلى أن ألف التأنيث المقصورة في حمرى قلبت همزة في فعلاء حمراء فالتحقت بالأصل، وحملت عليه[4].

---

(١) الأشباه والنظائر جـ١ / ٣٨.

(٢) الأشباه والنظائر جـ١ / ٣٨.

(٣) الأشباه والنظائر جـ١ / ٣٨.

(٤) الأشباه والنظائر جـ١ / ٣٨.

وقد يحمل البناء على البناء الشاذ، ومن ذلك اسم التفضيل خير وشَرّ بحذف الهمزة منهما على غير المشهور من القياس، وقد حذفت لكثرة الاستعمال، وقد ورد الأصل في نادر كلام العرب، ومنه قول الشاعر[1]:

بلال خير الناس وابن الأخيرِ

وقرأ قتادة وأبو قِلابة: ﴿**سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ**﴾[القمر:٢٦] الأَشَرّ (بفتح الشين)، وزن الأفعل، والمشهور: الأشِر، وقد حمل حذف الهمزة في "حب" على شر وخير، قال الأحوص[2]:

قد زادهُ كلفاً بالحُبّ أن منَعَتْ وحَبُّ شيء إلى الإنسان ما منعا

والأصل: أحب، قال تعالى: ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ**﴾[يوسف:٣٣] وجاء في الحديث: "ما من أيام أحبُّ إلى الله فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة "[3].

---

(١) همع الهوامع ٢ / ١٦٦ والمحتسب جـ٢ / ٢٩٩.

(٢) ديوان الأحوص ص١٣٣، والأغاني م٤ / ٧٣.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

الحمل في المفرد والمثني والجمع

اللفظ يدل على عين من الأعيان أو معنى من المعانى ويسمى الإفراد، وقد ينقل عن ذلك للدلالة على المثنى أو الجمع من باب المغايرة ومخالفة الاصطلاح، وهذا يكون لمعنى يحسن فيها أو تلميحاً إلى معنى بعيد أو خروجاً عن المألوف أو مبالغة في التكثير أو تجديداً في الخطاب لإثارة المتلقي فيعمل فكره في سبب العدول فيه عن الأصل، ولا يعد هذا مطعناً في اللغة بل جمالاً فيها لاحتمال التعدد في اللفظ الواحد وتنوع الأساليب، ويعد سراً من أسرار التعبير فيها، ووراء ذلك علة في المعنى يطلبها الخروج عن الاصطلاح العام، ويحسن هذا فيما ليس فيه لبس أو إبهام مما يدركه المتلقي بوعيه اللغوي(١).

والعدد في العربية يكون معيناً خلافاً للمطلق، فالعدد يكون واحداً أو اثنين ولكنه غير مقيد بإحصاء، فالعشرة جمع والمائة جمع بيد أن بعض العلماء أطلق على العدد من ثلاثة إلى تسعة عدد قلة، وما فوق العشرة عدد كثرة والجموع السالمة مذكرة ومؤنثة تدخل في جموع القلة، وهذا يوافق المشهور ولا يطرد في عموم اللغة لوجود قلة تخالف المشهور، والقياس على المشهور لضبط الخطاب اللغوي والاصطلاح على عرف عام يتبع في اللغة تيسيراً ودرأ للخلاف الذي يجلب الشقاق والتباين اللغوي.

أولاً – حمل الواحد على معنى المثنى والجمع:

– حمل الواحد على معنى المثنى : ويقع الواحد فيه موقع المثنى، ومما فسر على الحمل ذكر الواحد في سياق الحديث على المثنى فيحمل على معنى المثني، قال تعالى: تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ**﴾[التوبة:٣٤]، جاء في ذكر الشيئين ثم ذكر أحدهما دون الآخر والمراد به كلاهما معاً، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا**

(١) ارجع إلى شرح الكافية جـ٣ / ٣٥٤، ٣٥٥.

﴿إِلَيْهَا﴾[الجمعة:١١] وتقديره: انفضوا إليهما. وأرى أن الإفراد وقع للمقدم منهما تغليباً لقدره ولتعظيم منزلته وأهميته، والله أعلم، ومما يقوي هذا الرأي قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[التوبة:٦٢]، والمراد أن يرضوهما[١]، فجعل الضمير لرب العزة سبحانه؛ لأن رضى الرسول ﷺ من رضى الله تعالى، فلا يخرج عليه.

وقد يوصف المثنى بلفظ المفرد، قال تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون:٤٧] والقياس أن يقول: بشرين مثلينا، فوصف المثنى بالمفرد.

ويجوز ذلك في "الند" و"المثل" و"العدل" و"الضد"، للمثنى المؤنث أيضاً[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[طه:٤٩] وضمير المثنى له ولأخيه، والنداء لموسى عليه السلام، دون هارون، والمراد به موسى وهارون عليهما السلام، ودل على ذلك الضمير في المضاف في "ربكما"، فجعل الخطابى لمن له الولاية والخطاب، وسياق القول يدل على أنهما معاً، وقد أرسل الله تعالى هارون فى عون موسى عليهما السلام، وقال تعالى في الملكين: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[ق:١٧] أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فهما قعيدان، فأخبر بفعيل عن المثنى، فحمل عليهما.

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة:٤٥] أفرد كبيرة، ولعل المراد – والله أعلم – الاستعانة بهما تكون كبيرة على غير الخاشعين، ومنه قوله تعالى لآدم وحواء عليهما السلام: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:١١٧] فخاطب آدم وحواء ثم نص في إتمام الخطاب على آدم وأغفل حواء[٣]. والمراد آدم وحواء معاً بضمير المفرد

---

(١) فقه اللغة ص٢٢٤. وتأويل مشكل القرآن ص٢٨٨.

(٢) ارجع إلى: الأضداد للسجستاني ص١٢٩.

(٣) فقه اللغة ص٢٣٠، واللسان جـ ٣/٤٣٣ قعد.

المضمر في "تشقى"، فأسنده لآدم؛ لأن حواء تبع له، والله أعلم، وكانت زوجاً له.

ويجوز التعبير عن الزوجين بواحد لوضوح المعنى فيهما، فيحمل لفظ المفرد على لفظ المثنى، ومنه ما جاء في الحديث: "من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تر"(١)، والقياس في مراعاة اللفظ: ما لم تريا، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ**﴾[ص:٢١، ٢٢]. ومما حمل على لفظ المثنى لفظ العيد في قول أم عطية ﷺ: " أمرنا أن نخرج الحُيَّض يوم العيدين " (٢). في هذا الحديث توحيد المضاف إلى العيدين، وهو في معنى المثنى(٣)، والقياس أن يكون اللفظ: يومي العيدين.

ومثله قول الراوي عن وضوء النبي ﷺ: "ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما"(٤)، وبإفراد ظاهر وباطن، والقياس: ظاهريهما وباطنيهما.

ومنه قولنا في الخطاب اليومي: أخذ محمد وعلى أجرهما، والأصل: أجريهما.

وقد سمع عن العرب الإفراد وأرادوا به المثنى، فمما أريد به المثنى ما حكاه الفراء أنه سمع بعضهم يقولون: "أكلت رأس شاتين" (٥) أراد رأسي شاتين. ومنه قول الشماخ بن ضرار(٦):

---

(١) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، عن ابن عمر ﷺ .

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب وجوب الصلاة في الثياب.

(٣) شواهد التوضيح ص٦٠.

(٤) رواه أبو داود في سننه، وصححه الترمذي عن ابن علاس، وجاء في ابي داود: فمسح راسه وأذنيه، ففسل بطونهما وظهورهما مرة واحدة، رقم ١٠٨ ورقم ١٢١، ١٢٣ وروى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء.

(٥) شواهد التوضيح ص٦٠.

(٦) شواهد التوضيح ص٦٠. وترنّمي: أي رجعي صوتك. والغر: جمع غراء يعني البيضاء.

حَمَامة بطن الواديين ترنَّمِي

سقاك من الغُرِّ الغوادي مطيرُها

أفرد البطن، والقياس أن يقول: بطني الواديين. وقال الفرزدق[١]:

فلو بخلت يداي به وظننت لكان علىّ للقدر الخيار

والقياس أن يقول: ظننتا، ومنه قول العرب: رأيته بعَيني، وبعينيّ، والأصل: بعينيَّ.

قال سُلْميّ بن ربيعة الضبّي[٢]:

وكأن بالعيني حَبَّ قرنْفُلٍ أو سنبلاً كُحِلَت به فانْهلَّتِ

يريد: ألفت البكاء لتباعدها، فساعدت العينان وجادتا بإسالة دمعها غزيراً، وقد أسند الفعل إلى لفظ المفرد فقال "كُحِلَت" إخباراً عن إحدى العينين، وساغ ذلك لما في العلم من أن حالتيهما لا تفترقان، وكل اثنين لا يكاد أحدهما ينفرد فهو على هذا المثال.

وجاءت واحدة في قول الشاعر[٣]:

إذا ذكرت عيني الزمان الذي مضى

بصحراء فلْجٍ ظلت تكفان

وقال حسان رضي الله عنه[٤]:

إنَّ شَرْخَ الشبابِ والشعرَ الأســـ

ـــوَدَ ما لم يُعاصَ كان جُنُونا

ما لم يعاص: أفرد الضمير وإن كان لاثنين، وذلك أن كل واحد منهما بمنزلة آخر فحمل عليه وجرى مجراه، فشرخ الشباب اسوداد الشعر، فهما

---

(١) شواهد التوضيح ص٦٢.

(٢) الأمالي للقالي جـ١ / ٨١ ، وحماسة أبي تمام بشرح المرزوقي جـ١ / ٥٤٧.

(٣) أمالي ابن الشجري ١ / ١٠٦. والبحر المحيط لأبي حيان جـ٣ / ٨٧. والصاحبي ص٤٢٤، وهو غير منسوب لقائل فيهم.

(٤) ديوان حسان ص٤١٣ واللسان ٣ / ٥٠٧ وتأويل مشكل القرآن ص٢٨٠.

بمنزلة المفرد، والأصل أن يقول: يعاصا، وقال عمرو بن امرئ القيس الأنصاري مخاطباً مالك بن العجلان[1]:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلفُ

والأصل: والرأيان مختلفان، وقيل: نحن وأنت راضيان، ويجوز نحن وأنت راضون. ويجوز: نحن راضون وأنت راض فحذف خبر الأول لدلالة الثانى عليه.

ويقولون: الدار في يدي وفي يدىّ، والأصل اثنان، قال الفرزدق[2]:

فلو بخلت يداي بها وضنَّت لكان علىّ للقدر الخيار

والمعنى: لو ملكت أمري فكان عليّ أن أختار للقدر ولم يكن على القدر أن يختار.

وهذا مطرد في كل زوجين لا ينفرد أحدهما على الآخر، كاليدين، والرجلين، والعينين.

وقالت غضوب لامرأة من رهط ربيعة بن مالك، تهجوا سبيعاً[3]:

أخو الذئب يعوى والغراب ومن يكن شريكيه تطمع نفسه كل مطمع

فاسم "يكن" يعود على "من" وهو مفرد، وخبر كان "شريكيه" وهو مثنى، فكأنه قال: وأي اثنين كانا شريكيه طمعت أنفسهما كل مطمع، إلا أنه عاود لفظ الواحد بعد أن حمل على معنى التثنية، بقوله تطمع نفسه، ولم يقل "تطمع أنفسهما".

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٢٨٩ وجمهرة أشعار العرب ص١٢٧، واللسان جـ ٣/٤٣٣.

(٢) البيت برواية ابن فارس في الصاحبي ص٤٢٤. وفي الديوان: ص ٢٥٨. يروي على الأصل "يداى" ورواه ابن جنى كذلك:

فلو رضيت يداى بها وقرت لكان علىّ للقدر خيار

ارجع إلى: الخصائص جـ١ / ٢٥٨، ورواه المبرد على نحو ما رواه بن فارس بلفظ المفرد: "ولو أني ملكت يدي ونفسي" وهذه الأبيات قالها ندماً على تطليقه زوجته،الكامل جـ١ / ٩٩ ط١، المكتبة العصرية.

(٣) الخصائص جـ٢ / ٤٢٥.

ويقال: رأيت عمراً وزيداً وسلمت عليه، فأوقع الفعل على أحدهما، والأصل: وسلمت عليهما[1].

– حمل الواحد على معنى الجمع: قد يذكر الواحد ويراد به الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا**﴾[النساء:٤]، وقوله﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**﴾[النجم:٢٦] وتقديره: وكم من ملائكة في السموات[2]، وأرى أن لفظ الملك مما يحمل على الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿**وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا**﴾ [الحاقة:١٧] الملك: اسم جنس يعنى الملائكة، وقال الأخفش فى الآية: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى**﴾[النجم:٢٦] الملك واحد ومعناه جمع، وهو قوله تعالى: ﴿**فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾[الحاقة:٤٧] أحد مفرد ومعناه جمع، وكقوله تعالى: ﴿**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ [البقرة:٢٨٥]. فبين تقع على اثنين فما زاد[3]. وقوله: ﴿**وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ**﴾[النساء:١٥٢]، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فأكثر، والتقدير: لانفرق بينهم، وقوله: ﴿**إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي**﴾[الحجر:٦٨] يريد ضيوفي، فإنهم كانوا جماعة، ودل عليها هؤلاء، وقد دل على ذلك لفظ رُسُل في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾[هود:٧٧] وقوله: ﴿**وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾[العنكبوت:٣٣]، ومثلها: ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ**﴾[القمر:٣٧] و﴿**وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي**﴾[هود:٧٨]، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء**﴾[الطلاق:١]،

---

(١) فقه اللغة، الثعالبي ص٢٢٤.

(٢) فقه اللغة ص٢٢٥ ويقال: قرونا به عيناً، والمراد أعيناً.

(٣) تفسير القرطبي جـ ٨٢/١٧.

والخطاب موجه للمؤمنين قاطبة، فأراد بالمفرد الجمع، وعدل عنه على ضمير الجمع في "طلقتم" ليكون دليلاً على المراد.

وقال تعالى: ﴿**يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**﴾[غافر:٦٧]. أي أطفالاً. ومثلها قوله: ﴿**ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**﴾[الحج:٥]. ومثله قوله تعالى: ﴿**أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**﴾[النور:٣١] يريد الأطفال، فكذلك قال: الذين لم يظهروا[١]

وقال الشاعر:

فَعُمٌّ لعُمِّكُمُ نافع وطِفلٌ لِطِفْلِكُمُ يُؤْمَلُ

والعُمّ: الجماعة من الرجال البالغين (المدركين)، وقد أخبر عنه بلفظ المفرد "نافع"، وأراد بالطفل الأطفال[٢]. ومن ذلك لفظ "الفلك" في قوله تعالى: ﴿**فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾[يس:٤١] وجاءت جمعاً في قوله تعالى: ﴿**وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ**﴾[الحج:٦٥]، ومن ذلك لفظ "جُنُب"، يقال "رجال جنب" وجاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ**﴾[المائدة:٦] و"عدو" في قولنا: "هذا عدو"، ويقال هم عدو لنا، قال تعالى: ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء:٧٧] وقوله: ﴿**فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾[النساء: ٩٢]. وند، تجعل للمفرد والجمع، وتأتي مفردة وجمعاً قال تعالى: ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**﴾ [البقرة:٢٢] أي أضداداً، وجاءت في موضع الجمع في قول جرير[٣]:

أتيماً تجعلون إلىَّ نداً وما تيم لذى حَسَب نديدُ

وتيم اسم قبيلة، والقياس أن يقال أنداد، ولكنه عدل عن الجمع إلى المفرد، ويجوز في اعتبار الأب في اسم القبيلة، فعمد إلى الأب دون القبيلة فأخبر عنه

---

(١) ارجع إلى الأضداد للسجستاني في ص١٣٠ والاضداد لابن الأنباري ٢٤.

(٢) البيت رواه السجستاني في الأضداد ص١٣١، وابن الأنباري في الأضداد ص٢٥ ولم ينسباه لقائل. والعُمّ: الجماعة.

(٣) ديوان جرير، مكتبة الحياة، ص١٦٤ وفيه:

أتيتم تجعلون إلىَّ نداً وهلْ تيم لذى حسب نَديد

بند، وليس على هذا الوجه حمل في "نـد"، ويقـال: فـلان نـدي، ونديـدي، ونديدتي[1]. وقال تعالى: (والملائكة لعد ذلك ظهير) [التحريم:٤].

ومن العرب من لا يثنيه ولا يجمعه، ولا يؤنثه: فيقـول الـرجلان نـدي، والرجال ندي، والنساء ندِّي، كما قالوا: القوم مثلي، وأمثـالي، قـال الله ﷻ: ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾[النساء:١٤٠]. وقوله: ﴿**ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَـالَكُمْ**﴾[محمـد:٣٨]، ومثله عِدْل قال زهير[2]:

متى يشتجر قومٌ يَقُلْ سَرَوَاتهم هم بيننا فَهُم رضاً وهم عَدْلُ

وقال الشاعر[3]:

يا عاذلاتى لا تزدن ملامتى المال هدْيٌ والنساء طوالق

والشاهد: المال هَدْى. وزن فعْل.

ووزن فِعْل يخبر به عن الجمع مثل وزن فَعْل، وجاء عليه: المِثل، والشبه، والعِدْل، والضد يخبر بها عن الجمع من الرجال والنساء، وهي لفظ مفردة، قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾[النساء:١٤٠]. ويقال أمثالكم أيضاً، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾[محمد:٣٨][4]. وضد في قوله تعـالى: ﴿**وَيَكُونُـونَ عَلَـيْهِمْ ضِدًّا**﴾[مريم:٨٢] أي: أضداداً، لأن أول الآيتين: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**﴾[مريم:٨١] ثم قال تعـالى: ﴿**كَلَّـا سَـيَكْفُرُونَ بِعِبَـادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ**﴾[مريم:٨٢] أي تكون الآلهة ضداً عليهم، أي عوناً أراد خلاف العـز، وإنما جعل الضد كالمصادر التي تكون للواحد والجمع سـواء كقولـك القـوم رضى، والقوم عَدْل، وهم جَنْب والمشارب عَذْب، والأعلام ثَمْل، وأفرد عَـدْل،

---

(١) الأضداد ص٢٤.

(٢) ديوان زهير ص١٠٧، وتأويل مشكل القرآن ص٢٨٥. والصاحبي ص١٨١: يـشتجر مـن المـشاجرة، وهـي الخـصومة، وسرواتهم: أشرافهم، وهم بيننا: الحاكمون بيننا.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٢٨٦، ومجاز القرآن جـ ٢/٢٤٥، ولا يعرف له قائل.

(٤) الأضداد لابن الأنباري ص٢٦، والأضداد للسجستاني ص١٣٤.

وعذب وثمّل وهي مصادر وقعت وصفاً[1]، ومثله قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً**﴾[البقرة:١٧] الذى مفرد فى اللفظ والمعنى على الجمع بدليل قوله: (ذهب الله بنورهم) فى بقية الآية، وقيل فى الذى: اسم جنس مثل: من، وما، فيعود إليه الضمير بلفظ المفرد أو الجمع، وقيل أراد بالذى الذين، فحذفت النون لطول الكلام بالصلة، ومثله قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[الزمر:٣٣]. ويقال: رجل كَرَم ورجال كرم ونساء كرم، ويقال: رجال شَرَط وقَزَم إذا كانوا سُقَّاطاً لا أقدار لهم، قال الكميت[2]:

وجَدت الناسَ غير ابني نزار ولم أدمُمْهُمُ شرطاً ودونا

ولفظ "رهبان" يراد به المفرد والجمع وفيه أيضاً راهب، أنشد الفراء[3]:

لو أبصرت رهبان دير فى جبل لانحدر الرهبان يسعى ويصل

حمل "الرهبان" على معنى المفرد ودل عليه الضمير فى يسعى ويصل، ووزن فعيل يخبر به عن الجمع مثل فَعْل، قال تعالى: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾[التحريم:٤]، فأفرد الخبر، وهذا جائز في الإخبار عن جمع التكسير، فقام المفرد مقام الجمع[4]. قال الشاعر[5]:

يا عاذلاتى لا تزدن ملامتى إن العواذل ليس لى بأمير

أخبر بأمير عن الجمع المؤنث فواعل، والأصل: لسنَ لى بأميرات يقودننى، وهذا جائز فى التكسير،ووزن فعيل يوصف به المؤنث والمعنى جماعة العواذل ليس بأمير. وقد يقع العكس فيوصف المفرد بلفظ الجمع نحو: بُرْمة أعشار (مكسرة على عشر قطع)، وثوب أهْدَامٌ (الأخلاق من الثياب)، وثوب أسمال

---

(١) اللسان ٩ / ٢٠٤.

(٢) الأضداد للسجستاني ص١٣٤.

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٢٤.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٢٨٦.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨٥، واللسان جـ ١٩٨/٦، ومجاز القرآن ٢٤٥/٢.

(الأخلاق مفردة:سمل)، وثوب أخلاق (إذا خلق)، ورمح أقصاد. ونعل أسْـمَاطٌ (لا رقعة فيها)، ويجوز: نعل سميط، وقد حمل لفظ الجمع في ذلك على معنى المفرد: عشر، هِدم، سمل، خلق، قصد، سمط.

وقال العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحَن الصدورُ

يريد: إنا إخوانكم، فحمل لفظ "أخ" على معنى الجمع، فوقع موقع الجماعة. وقال الأسود بن يعفر[1]:

ترى جوانبها بالشحم مفتوقا

فحمل لفظ "مفتوق" على معنى الجمع. وقال الشاعر[2]:

هم المولَى وإن جَنَفوا علينا وإنّا من لقائِهم لزورُ

والموالي يراد به الموالي أي بني العم، كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**﴾ [غافر:٦٧] .

ثانياً - حمل المثنى على معنى الواحد والجمع

قد يكون الفاعل واحداً فينسب الفعل لاثنين متلازمين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا**﴾[الكهف:٦١] والناسى فتى موسى الذى اصطحبه فى السفر، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ**﴾ [الكهف:٦٣]، وقد نسب الفعل فى النسيان لهما؛ لأنهما رفيقان. وقال تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾[الأنعام:١٣٠] والرسل من الإنس دون الجن، قد جمع الله تعالى بينهما؛ لأن الرسل أرسلت إليهما معاً، والإنس والجن من خلق الله تعالى، ويجوز أن يكون المعنى في منكم أي: مخلوقون

---

(١) الخصائص جـ٢ / ٢٨٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٨٤، ومجاز القرآن جـ١ / ٦٦، ٦٧ وهو منسوب لعامر الخصفى. والمولى: ابن العم، والجنف: الميل والجور.

مثلكم فاصطفاهم الله تعالى لرسالاته، فيكون حجة عليهم في التكليف، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[الرحمن:٢٢]، وهما يستخرجان من الماء الملح لا من العذب، فحمل العذب على المالح؛ لأنه من جنس الماء، والماء العذب يستخلص من الماء المالح فهو أصله فحمل عليه، والله أعلم.

ومثله: ﴿**وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**﴾ [فاطر:١٢]، والحلية تستخرج من الماء المالح(١).

وغلّط ابن قتيبة أبا ذؤيب الهزلى في قوله(٢) عن الدرَّة:

فجاء بها ما شئت من لطميَّةٍ يدوم الفُرَاتُ فوقَها ويَموجُ

والمعنى: كأن فى الدرة ماءً يموج لصفائها وحسنها، فجعل الدرة من الفرات، وهى من الماء الملح الأجاج.

وقوله تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[ق:٢٤] وقوله: ﴿**فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ**﴾[ق:٢٦] وهو خطاب لمالك خازن النار، فهو حمل على معنى المفرد، وقيل المراد بالخطاب خزنة جهنم أو زبانيتها، فيحمل على هذا الوجه على معنى الجمع(٣)، ويجوز أن تكون التثنية على خطاب الحقيقة من قول الله تعالى يخاطب به الملكين. وقيل: هو مخاطبة للسائق والحافظ(٤).

وقال المضرس بن ربعي الأسدى(٥):

فقلت لصاحبى لا تحسبانا بنزع أُصُوله واجتزّ شيحا

والأصل: لا تحسبنى، فجعل الفعل لاثنين؛ لأنهما متلازمان، فخاطب الواحد بضمير الاثنين. وقال سويد كراع الفلكى(٦):

---

(١) ارجع إلى تأويل مشكل القرآن ص٢٨٧.

(٢) ديوان أبي ذؤيب الهزلى ص٥٧، وتأويل مشكل القرآن ص٢٨٧، وكتاب الصناعتين؛ لأبي هلال ص٧١.

(٣) فقه اللغة ص٢٢٦ وتأويل مشكل القرآن ص٢٩١.

(٤) تفسير القرطبى جـ١٧/ ١٥.

(٥) الصاحبى ص٨٠، ١٨٦ واللسان ٥ / ١٩٤ وتأويل مشكل القرآن ص٢٩١. يريد قلت لخاطبى ويسمى صاحب السفر.

(٦) الصاحبى ص١٨٦ وتأويل مشكل القرآن ص٢٩١.

فإن تزجُراني يا ابن عفان أنزجر وإن تدعاني أَحْمِ عِرْضَاً ممنَّعاً

جعل المخاطب اثنين وهو واحد، وقال الأعشى[1]:

وصلّ على على خير العشيِّات والضُّحَى ولا تعبُدِ الشيطان والله فاعبدا

والشاهد: اعبدا مسنداً إلى المثنى، والأصل: فاعبدْ، وذهب بعض العلماء إلى أن الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة، وقال الفراء: والعرب تقول: " ويلك ارحلاها وازجراها " وتأويل الأبيات التي وقع فيها الفعل لاثنين، وهو لواحد أن الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة نفر، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومن ثم يقول الشاعر: يا صبيّ، ويا خليليّ، على المثنى، وقال العلماء أدنى ما يكون الآمر والناهى بين الأعوان اثنان فجرى كلامهم على ذلك[2].

وندر مجيء المثنى بمعنى الجمع فى العربية؛ لأنه محدد فى اللفظ باثنين، ولتوسع العرب فى استخدام الواحد بمعنى المثنى واستخدامهم الجمع فى موضع المثنى، بيد أن المثنى مميز فى اللفظ فلم يقع موقع الجمع إلا فى النادر، وللتعبير عن المثنى الذى يدل على الجمع بلفظ الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾[الأنعام:١٣٠] فمعشر اسم جمع، فجاء الضمير جمعاً فى (يأتكم).

ومما جاء بلفظ المثنى واحتمل فى المعنى الجمع قوله تعالى: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[ق:٢٤] الخطاب للمثنى، والمراد خزنة جهنم أو زبانيتها، وقيل: الخطاب موجه على الحقيقة لملكين[3]، وقيل: الخطاب موجه لمالك خازن النار عليه السلام.

ومن سنن العرب أن تطلق المثنى فى بعض كلامها، ويراد به غير المثنى تجميلاً فيحتمل وقوعه على الواحد والجمع ووقوعه على الواحد أكثر، وقد تأول

---

(١) الديوان ص ٥١، فقه اللغة ص٢٢٦.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٣) تفسير القرطبى جـ ١٥/١٧.

بعض العلماء مقدمات بعض القصائد التى ابتدأها الشاعر بخطاب المثنى أن المراد بها واحد، ويحتمل الجمع أيضاً. ومن ذلك قول امرئ القيس[1]:

قفا نبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل

بِسقْطِ اللّوى بَيْنَ الدخول فَحَوْمِلِ

وهذا الخطاب يحتمل الواحد والجماعة، فقد يكون فى رفقة جماعة، ولم يتوسع العرب فى إطلاق المثنى على الجمع.

ثالثاً - حمل لفظ الجمع على معنى المفرد والمثنى

ويقع ذلك مجازاً فخراً وتعظيماً، قال تعالى: معظماً ذاته ووحدانيته: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر:٩]، و﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[يوسف:٣]، و﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[القمر:٤٩] عدل – سبحانه– عن المفرد إلى الجمع للتعظيم، وإظهار القدرة.

وقال تعالى: ﴿**بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[النمل:٣٥] وهو واحد، ودلّ عليه قوله: ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ**﴾[النمل:٣٧][2]. وقوله: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ**﴾[هود:١٤]، وقال تعالى على لسان من حضره الموت: ﴿... **رَبِّ ارْجِعُونِ**﴾[المؤمنون:٩٩]، وقال تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِآبَائِنَا**﴾[الدخان:٣٦] والمتكلم واحد؛ لأنه من مطالب الكفار لإعجاز الأنبياء. ومنه قوله تعالى: ﴿**عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ**﴾[يونس:٨٣] والمراد ملأ فرعون الذين يناصرونه[3].

وقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ**﴾[التوبة:١٧] ويريد بالمساجد: المسجد الحرام، جعله جمعاً للتعظيم؛ لأن المشركين يسعون فى تخريب بيوت العبادة عامة.

---

(١) الديوان ص ١١٠ ومعلقة امرئ القيس، شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ٧.

(٢) فقه اللغة ص٢٢٦، وتأويل مشكل القرآن ص٢٨٤، والصاحبى ص١٨١ وص٣٥٠.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٢٩٤.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**﴾[البقرة:٧٢] وكان القاتل واحداً منهم، فنسب إلى الجميع لجهلهم به، ولأن القاتل منهم. وقوله: ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[النور:٧].

والشاهد في إقامة الحد بعد ثبوته أن يكون واحداً فاثنين فأكثر على مقتضى العدد، وقد ذكر طائفة؛ لأنها الأصل في إقامة الحد علناً؛ ليكون ردعاً لمن يقدم على مثله.

وقوله تعالى: ﴿**إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً**﴾[التوبة:٦٦] قيل إن طائفة أريد بها رجل كان لا يمالئ الطائفة المنافقة التى خاضت بالقول فى أمر النبى ﷺ، فجانبهم، ولم يشاركهم، فسماه الله تعالى طائفة تعظيماً لذنبه، لمجيئه بما يعادل عمل الطائفة، وقد جاء لفظ طائفة ليشاكل اللفظ الآخر، ويحتمل أنه وحده بمنزلة الطائفة تعظيماً لتركه لهم وعدم مشاركتهم فى الحديث[1]، والله أعلم.

وقال ﷻ: ﴿**وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ**﴾[الأنبياء:٨٢] أسند الفعل للجمع فحمل على المعنى، و"من" تدخل فيما بعدها.

وقوله: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة:١١٢] فأفرد على لفظ، ثم جمع من بعد فحمل على المعنى. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ**﴾ [الحجرات:٤] قيل هو رجل واحد، ناداه: يا محمد، وهو على المشهور عيينة بن حصن قال: يا محمد، إن مدحى زين، وإن شتمى شين، فخرج النبى ﷺ، فقال: "ويلك ذاك الله ﷻ" [2]، ونسب الفعل إلى الجمع؛ لأنه كان فى جماعة من قومه. وقال الفرزدق:

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١٧١/٨.

(٢) الصاحبي، ابن فارس، مكتبة دار التراث ص٨١، ٣٤٩ ، وتأويل مشكل القرآن ص٢٨٣.

فياليت دارى بالمدينة أصبحت بأجفار فَلْج أو بسيف الكواظم

الشاهد أجفار يريد الجفر، والكواظم: يريد كاظمة ، فحمل لفظى الجمع على معنى المفرد.

والعرب تقول: شكرت من أحسنوا إلىَّ فعلهم، ولا يجوز العودة إلى المفرد (اللفظ) بعد الذهاب إلى المعنى، فلا يجوز: شكرت من أحسنوا إلىَّ على فِعْلِـهِ. ومنه قول الفرزدق أيضاً[1]:

وإذا ذكرت أباك أو أيامه أخزاك حيث تُقبَّل الأحجار

أوقع لفظ الجماعة على معنى الواحد، يريد الحجر، فإنه جعل كل ناحية حجراً؛ ويمس في كل ناحية حجراً. ويجوز أن يعتد بجزء الشيء دون الشيء أو ما يدخل في غيره دون ما يدخل فيه، وهو بخلاف اعتبار الكل دون الجزء.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[الأحزاب:٣١] أسند الفعل إلى الواحدة؛ لأنه أراد: امرأة، قال ذو الرُّمة[2]:

ومية أحسن الثقلين وجهاً وسالفه وأحسنه قذالا

فأفرد الضمير مع قدرته على جمعه، فاعتبر المفرد دون الجمع.

والعرب تقول: هو أحسن الفتيان وأجمله، وتفرد الضمير؛ لأن هذا موضع يكثر فيه الواحد، كقولك: هو أحسن فتى فى الناس[3].

ويقال في خطاب الصفوة وأولى الأمر: حضرتكم، سيادتكم، عظمتكم، فخامتكم، جلالتكم تعظيماً للمفرد المخاطب.

وقد يحمل الجمع على معنى المثنى، قال تعالى: ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[التحريم:٤] ولم يقل قلباكما، فالمراد بقلوب المثنى، وقوله: ﴿**فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾[النساء:١١] أى أخوان فصاعداً، وقوله:

---

(١) الخصائص جـ٢ / ٢٨٩.

(٢) الخصائص جـ٢ / ١٨٩، والقذال: القفا (جماع مؤخر الرأس من الإنسان) اللسان: قذل.

(٣) الخصائص جـ٢ / ٢٨٧.

﴿**وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ** ﴾[الأعراف : ١٥٠] قيل إنهما لوحان[١]، وقال تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾[المائدة:٣٨]، ولم يقل يديهما، فالمراد بالأيدى المثنى، فالحد قطع يد واحدة من السارق، وأرى أن أيدى جاءت جمعاً؛ لأن السارق والسارقة أريد بهما الجنس أى: كل سارق وكل سارقة فأضيف لفظ الجمع إلى ضمير الجنسين المذكر والمؤنث[٢]، والله أعلم.

ومما جاء به بلفظ الجمع وأُريد به المثنى قوله تعالى: ﴿**قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[الأعراف:٢٣]. والقائلان آدم وحواء عليهما السلام، أى: المتكلمان وكل من لم يغفر لهم.

ومنه قول النبى ﷺ: "إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه "[٣]. أراد: نصفى ساقيه، فأطلق الجمع وأراد به المثنى، وروى فيه " إزرة المؤمن إلى نصف اللسان.." وإلى عضلة ساقية.." وقوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**﴾[النور:٢٦] ويراد بالجمع عائشة وصفوان رضى الله عنهما[٤]، وقد يجتمع لفظان مجموعان في تركيب فيحملان على لفظهما لا جمعهما، ومن ذلك لفظا السموات والأرض فى قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ [الأنبياء:٣٠] فاعتبر اللفظ في الضمير ولم يعتبر الجمع في السموات والأرض، فجاء الإسناد في "كان" إلى المثنى، وقال الشعبى في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان: "رجلان جاءونى"، فقال عبد الملك: " لحنت يا شعبى. قال: يا أمير المؤمنين لم ألحن مع قول الله عز وجل: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾[الحج:١٩] قال عبد الملك: لله دَرُّك يا فقيه

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص٢٨٣.

(٢) الدلالة اللفظية، الدكتور محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو ص١٢٥، وفقه اللغة ص٢٢٤.

(٣) رواه أحمد رحمه الله تعالى، وابن ماجه رقم: ٣٥٧٣ صحيح الجامع رقم ٩١٩، ٩٢٠ عن أبى هريرة، وعن أبى سعيد.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص٢٨٤.

العراقين، قد شفيت وكفيت" [1]، فأجرى الشعبى المثنى مجرى الجمع فأسند الفعل إلى الجماعة، وقال الأسود بن يعفر[2]:

إن المنايا والحتوف كليهما فى كل يومٍ تَرْقُبان سوادِى

ثنّى حملاً على اللفظ دون المعنى، وقال الآخر[3]:

ألم يُحزنْك أن الحبال قيس وتغلب قد تباينَتَا انقطاعا

ثنّى على اللفظ دون المعنى، ويجوز الوجهان: قال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الحجرات:٩] الطائفة جماعة أو فرقة، فاعتبر فيهما اللفظ فى المثنى، ثم اعتبر المعنى فقال (اقتتلوا) لدخولهم فى الفتنة ولخروجهم عن الجماعة الواحدة، ومن ثم قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[الحجرات:١٠]، وذكر المثنى (أخويكم)؛ لأنهما فريقان تقاتلا، فأوجب الإصلاح بينهما؛ ليدخلوا فى حوزة الجماعة وتقتضى المثنى فما فوق، ثم أمرهم جميعهم بالتقوى.

---

(١) فقه اللغة ص٢٢٧، والعراقان: العراق والشام، مثل: الأسودان: التمر والماء، فحمل أحدهما على الآخر تغليباً.

(٢) فقه اللغة ص٢٢٧.

(٣) فقه اللغة ص٢٢٧.